

لماذا عاصفة الحزم وما مستقبلها في اليمن؟

د. مراد شاهين

يصعب على المتتبع لتاريخ اليمن الحديث أن يجد فترة ممتدة من الهدوء والاستقرار. المجتمع اليمني شبكة معقدة، على الأقل في نظر العالم الخارجي، من التعددية العصبية (العائلية، القبلية، الطائفية، المذهبية والجهوية). غالبية الصراعات الدموية في المجتمع اليمني كانت حول تقاسم السلطة أو الإستحواذ عليها، خصوصا أن معدل ما يمتلكه الفرد من أسلحة نارية هو ثلاث قطع. فَكَثُرَتْ فيها الخلافات والإغتيالات السياسية، والثورات والإنقلابات العسكرية والإقتتال الأهلي وتراكم الإحساس الدائم لدى الجميع بالحاجة للتأثر. في اليمناء اليوم هم حلفاء الغد، وأية تحالفات غالبا ما يؤثر في طبيعتها وديمومتها ومناطقيتها تَغْيِر موازين القوى العصبية الداخلية أو بارتباطها بمصالح قوى خارجية. ولم تنشغل اليمن وحكامها في بناء وتطوير نظاما سياسيا يحترم حق الآخر في المشاركة السياسية، ولم يرسخ نظاما اقتصاديا واجتماعيا يضمن توزيعا عادلا للموارد وتكافؤ الفرص. ولم يعمل على دمج المجتمع اليمني تحت لواء هوية وطنية يَمَنِيَّة جامعة.

وكان ما فيها لم يكفيها، فموقع اليمن على الحد الجنوبي للجزيرة العربية جعلها بوابة المنطقة الى القارة الإفريقية والمحيط الهندي وما ورائهما، وتتحكم بمنافذ التجارة البحرية مع آسيا وإفريقيا. وتعداد سكانها اليوم يناهز 26.6 مليون؛ اي يساوي عدد السكان الأصليين (العرب) في دول شبه الجزيرة العربية مجتمعة تقريبا. وهذه حقائق مقلقة لدول الجوار ولا سيما ان اليمن لا تتماثل معها في نظامها السياسي والمذهبي.

تعززت حالة القلق تلك في السنوات الأخيرة بسبب الحرب التي اندلعت بين الجيش اليمني والحوثيين عام 2004 وعبرت عنه السعودية من خلال دعمها لقوات الرئيس علي عبد الله صالح، آنذاك. ثم أن الحراك الشعبي الذي أطاح بحكم الرئيس صالح عام 2012 زاد من حدة المخاوف السعودية إزاء ما يحدث في اليمن. وبعد اندخلت البلاد في اشبه ما يكون بالحرب الأهلية وسيطرة الحوثيون على مراكز السلطة في العاصمة ومدن استراتيجية أخرى عام 2014، رأت السعودية ان الموقف يقتضي التدخل الفوري.

تذكر مصادر تاريخية بريطانية بأن عميلها المستعرب جون فيلبي، الملقب بـ عبد الله، طلب من عبد

العزير آل سعود عام 1934 التدخل في اليمن، فجاء الرد قاطعاً: "لم يملك آباي وأجدادي اليمن، ولم يكن احد قادر على تحقيق الأمن والاستقرار هناك. من يستطيع أن يحكم اليمن بـيزيديّتها ومشاكلها؟" ولكن المفارقة الكبرى ان السعودية لا تحتمل استقرار اليمن أو عدمه، تقريبا بنفس الدرجة. بالتالي، كيف للسعودية ان توفّق بين متطلبات التدخل في اليمن وخطر الوقوع المهلك في شبك التحالفات والعصائب اليمنية؟

قررت السعودية في 25 مارس/اذار 2015 ان تؤلف وتفود تحالفاً عسكرياً (عاصفة الحزم) تلبية لطلب بالتدخل من قبل الرئيس اليمني المنتخب عبد ربه هادي و"حماية اليمن من العدوان الحوثي...[وال]مساعدة في مواجهة القاعدة و داعش." هذا بالرغم من أن الحوثيون كانوا اصلاً منشغلين في محاربة داعش والقاعدة.

القناعات التي تدخلت المملكة على أساسها في اليمن مشكوك في ابعادها ودلالاتها السياسية والاستراتيجية. فالاعتقاد بأن النظام اليمني الذي افرزته الحركات الشعبية نظاماً ديمقراطياً يشكل تهديداً حقيقياً لبقاء النظام السعودي لا يوجد ما يبرره. فالتاريخ ربما يشهد لليمن "بالفوضى" والعنف ولكن لا يشهدانها كانت عدوانية تجاه الجوار. ثانياً، اعتقاد السعودية بأن ايران تسعى لِمَدِّ نفوذها الى اليمن من خلال دعم واىصال الحوثيين الى السلطة ليس هنالك ما يبرره ايضاً. الحوثيون طائفة يمنية اصيلة ليست تابعة لإيران مذهبياً ولا عرقياً، وهم ايضاً حلفاء سابقون للسعودية. وكبقية الطوائف تطمح لتقاسم السلطة في صنعاء وقد حدث انهم وُعدوا بذلك من قبل الرئيس هادي إبان تشكيل حكومة الوحدة الوطنية عام 2014، إلا انه تم التراجع عن وعودات تقاسم السلطة، ربما بضغط من السعودية.

ثالثاً، الإعتقاد بأن انشغال إدارة الرئيس أوباما في تسوية الملف النووي الإيراني خلافاً للرؤية السعودية حول ذلك الملف فُسر على انه تهميش للدور السعودي كلاعب إقليمى رئيسي في المنطقة. ومما زاد من شكوك السعودية بنوايا حليفها الأمريكي تحوّل تركيز السياسة الخارجية الأمريكية الى جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي. والواقعية السياسية تفترض ان للسعودية الحق في تصوّّر ما يخدم او يضر بمصالحها. لكنهل كان التدخل العسكري هو خيارها الوحيد أم افضل الخيارات؟ بينما قد يصعب تحديد آلية صنع واتخاذ القرار السياسي السعودي، يمكن استنباط ان هنالك ضابطة في الرؤية لدى دائرة صنع القرار، مَرَدُّها تضخيم هاجس المد الشيوعي الإيراني وتضخيم هاجس "الربيع العربي" واحتمال امتداده الى السعودية. بالإضافة الى ذلك القراءة غير المتيقنة للمشهد السياسي العالمي المُستجِد مُتَسَبِّبة بحالة الارتباك في طُرُق التفاعل معه.

لم يَفُتْ اوان تدارك الموقف تجاه اليمن. السعودية باقية واليمن باقية. والحرب الحديثة مكلفة جداً وتكاليفها كفيلة بـزَهْقِ خزائن واحتياطات مالية عند أعظم الدول. لقد كان الجدول الزمني لانتهاء عاصفة الحزم شهر ونصف ولكنها ما تزال جارية بعد أكثر من سنة ونصف بتكلفة تُقَدَّر، حتى اليوم، 3

مليار دولار؛ اي بتكلفة تقارب 175 مليون دولار شهريا. بالطبع هذا عدا عن حجم الدمار الهائل والتقتيل في اليمن.

لن تستطيع السعودية الإستمرار في الخيار العسكري غير المجدي. يمكنها دعم مصالحه وطنية حقيقية تجمع على طاولتها الأطراف اليمنية المتصارعة بما فيهم أنصار الـ، الرئيس السابق علي صالح، والاتفاق على هدنة لمرحلة انتقالية تنتهي الى تقاسم عادل للسلطة. لأن البديل عن ذلك هو المزيد من الأعباء المادية والضحايا من ابناء اليمن الشقيق.

دائرة العلوم السياسية - جامعة بيرزيت